Al-Marjān Research Journal
Open Access
Al-Marjān Research Journal
ISSN(E): 3006-0370
ISSN(P): 3006-0362
al-marjan.com.pk

The Theological Approach in Writing the Prophetic Biography in the Indian Subcontinent during the 18th Century

الاتجاه الكلامي في كتابة السيرة النبوية في شبه القارة الهندية في القرن الثامن عشر

Authors Details

1. **Muhammad Ismail** (Corresponding Author)
   PhD Scholar, Department of Seerah and Islamic History, International Islamic University, Islamabad, Pakistan.
   muhammad.phdss478@iiu.edu.pk
2. **Dr. Khalid Abdul Nabi**
   Assistant Professor, Department of Seerah and Islamic History, International Islamic University, Islamabad, Pakistan.

Citation

Ismail, Muhammad, and Dr. Khalid Abdul Nabi." Montgomery Watt's Perspective on the Battle of Banu Qurayza: A Critical Analysis."*Al-Marjān Research Journal* 3,no.2, April–June (2025): 94−105.

Submission Timeline

Received: Mar 08, 2025
Revised: Mar 23, 2025
Accepted: April 14, 2025
Published Online: May 06, 2025

Publication, Copyright & Licensing

Article QR

Al-Marjān Research Center, Lahore, Pakistan.

All Rights Reserved © 2023.
This article is open access and is distributed under the terms of Creative Commons Attribution 4.0 International License

INDEX COPERNICUS INTERNATIONAL
ISSN INTERNATIONAL STANDARD SERIAL NUMBER INTERNATIONAL CENTRE
HJRS HEC Journal Recognition System

The Theological Approach in Writing the Prophetic Biography in the Indian Subcontinent during the 18th Century

الاتجاه الكلامي في كتابة السيرة النبوية في شبه القارة الهندية في القرن الثامن عشر

محمد إسماعيل ☆ الدكتور خالد عبد النبي ☆

Abstract

During the eighteenth century, the Indian subcontinent became a center of intense religious and intellectual challenges for Muslims. In response, a distinct approach to writing the Prophetic biography emerged—one grounded in Islamic theology (*Ilm al-Kalam*). This method was not limited to narrating events but aimed to affirm the Prophet Muhammad's ﷺ status, defend the concept of prophethood, and address objections raised by both internal groups—such as certain sectarian movements—and external actors like Orientalists and Christian missionaries. This study examines how prominent scholars of the era, including Shah Waliullah al-Dihlawi, Shah Abdul Aziz, and Ahmad ibn Irfan al-Shahid, employed theological reasoning alongside transmitted tradition to frame the biography in a way that reinforced essential beliefs. Central doctrines such as infallibility, revelation, miracles, and the truthfulness of the Prophet ﷺ were emphasized. Through a historical-analytical approach, the research analyzes selected writings that represent this trend. It argues that this theological perspective served as a powerful tool in protecting the Prophetic narrative from distortion and played a key role in strengthening Islamic belief systems amid the evolving intellectual landscape of that time.

Keywords: Seerah, Ilm al-Kalam, Indian subcontinent, 18th century, theological method

المقدمة

شهدت السيرة النبوية تطورات منهجية متعددة في طرق كتابتها وتحليلها، تبعا لاختلاف العصور والبيئات الفكرية التي تعاقبت على الأمة الإسلامية. وفي شبه القارة الهندية، ومع التحديات الفكرية والعقدية التي واجهها المسلمون في القرن الثامن عشر، ظهر اتجاه جديد في كتابة السيرة يقوم على توظيف علم الكلام كمنهج للدفاع عن النبوة، وتأكيد مكانة الرسول ﷺ، ورد الشبهات المثارة ضده من قبل التيارات المختلفة، سواء الداخلية منها كفرق الشيعة والغلاة، أو الخارجية كالمستشرقين والمنصرين.

وقد تميز هذا الاتجاه بدمج العقل والنقل في سرد الأحداث النبوية، والتركيز على المفاهيم العقدية الجوهرية مثل العصمة، والصدق، والمعجزة، والوحي، وغيرها من المبادئ الأساسية التي تمثل جوهر العقيدة الإسلامية. وكان لعلماء بارزين كشاه ولي الله الدهلوي وأحمد بن عرفان الشهيد وعلماء المدرسة الديوبندية دورٌ محوريٌ في تأسيس هذا النهج.

يتناول هذا البحث الاتجاه الكلامي في كتابة السيرة النبوية في شبه القارة الهندية خلال القرن الثامن عشر، في ظل التحديات العقدية والفكرية التي واجهها المسلمون. وبرز كيف استخدم العلماء علم الكلام في الدفاع عن

☆ طالب دكتوراه، قسم السيرة والتاريخ الإسلامي، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان.

☆ الأستاذ المساعد، قسم السيرة والتاريخ الإسلامي، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان.

النبوة، وتفسير أحداث السيرة تفسيرا عقلانيا، وتحقيق توازن بين النقل والعقل. ويركز البحث على جهود علماء مثل شاه ولي الله الدهلوي، وأحمد بن عرفان الشهيد، وشاه عبد العزيز، مع تحليل نماذج نصية تجسد هذا الاتجاه. ويخلص إلى أن علم الكلام كان أداة رئيسة في الحفاظ على نقاء السيرة من التحريف والغلو، وتعزيز العقيدة في وجه الفرق والتيارات المنحرفة. تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف هذا الاتجاه الكلامي في كتابة السيرة النبوية في الهند، من خلال تحليل خلفياته الفكرية، وأبرز رموزه، والخصائص المنهجية التي تميز بها، مع بيان أثره في تشكيل العقل العقدي الإسلامي في مواجهة التحديات الفكرية في تلك المرحلة التاريخية.وتعتمد الدراسة على المنهج التحليلي التاريخي، مع استقراء نصوص مختارة من كتابات رواد هذا الاتجاه، لتقديم قراءة علمية نقدية تسهم في فهم التحولات الفكرية في كتابة السيرة النبوية.

أولا: الخلفية الفكرية والدينية للاتجاه الكلامي في الهند

شهدت شبه القارة الهندية خلال القرن الثامن عشر ميلاديا تحولات كبرى على المستويين الفكري والديني، نتيجة لتراكمات سياسية وثقافية واجتماعية متشابكة، كان من أبرزها ضعف السلطة المركزية للإمبراطورية المغولية، وظهور قوى محلية متنافسة، إلى جانب تصاعد التأثير الاستعماري البريطاني. في هذا السياق، برزت تحديات فكرية خطيرة أمام المسلمين، شملت هجمات عقدية من الداخل والخارج، مما استدعى تجديد أدوات الخطاب الإسلامي ومنهجيته، لا سيما في ما يخص السيرة النبوية.

1 . الانقسام العقدي والمذهبي في البيئة الهندية

كانت الهند موطنا لتيارات إسلامية متعددة، من أبرزها التيار السني بمذاهبه الكلامية (الأشعرية والماتريدية)، مقابل وجود واضح للفرق الشيعية والصوفية الغالية، فضلا عن جماعات تدعي الانتساب للإسلام وهي في حقيقتها ذات نزعات باطنية أو منتحلة للنبوة. هذا التنوع خلق بيئة مليئة بالصراعات العقدية، وجعل من الضروري أن تكون السيرة النبوية مجالا للدفاع العقائدي، من خلال تسليط الضوء على صفات النبي ﷺ التي طعن فيها، كالعصمة، والتأييد الإلهي، والصدق[1].

2 . أثر علم الكلام الأشعري والماتريدي في الفكر الإسلامي الهندي

شكل علم الكلام . خصوصا بصيغه الأشعرية والماتريدية . الإطار النظري الذي اعتمد عليه العلماء الهنود في مواجهة البدع والانحرافات العقدية. فقد وجدت هذه المدارس الكلامية طريقها إلى الهند منذ القرون الأولى، وبلغت ذروتها في القرن الثامن عشر على يد علماء أمثال شاه ولي الله الدهلوي الذي جمع بين النقل العقائدي والتحقيق الكلامي، مؤسسا لخطاب ديني عقلاني معتدل يبتعد عن الغلو، ويرد على الشبهات دون تهوين من النصوص.

ومن المهم الإشارة إلى أن المدارس الدينية في الهند، مثل المدرسة الفرهية والمدرسة الديوبندية لاحقا، اعتمدت على كتب الكلام ضمن مناهجها التعليمية، مما أسس لثقافة علمية تمزج بين الفقه والحديث والكلام، وهو ما انعكس لاحقا على كتابة السيرة النبوية نفسها، حيث لم تعد مجرد سرد تاريخي بل تحليل عقدي وبيان عقلي[2].

[1] Shāh Walī Allāh ad-Dihlawī, Ḥujjat Allāh al-Bāligha, edited by as-Sayyid Sābiq (Bayrūt: Dār al-Jīl, 1410 AH/1990), 1:52.

[2] Muḥammad Qāsim Zamān, Al-‘Ulamā’ fī al-Islām al-Mu‘āṣir: Ḥurrās at-Taghyīr, translated by ‘Abd al-‘Azīz Kāmil (Al-Qāhira: Dār ash-Shurūq, 1430 AH/2009), 114.

3 . ظهور المنهج الدفاعي في مواجهة الفكر الاستعماري والغربي

مع تزايد نشاط البعثات التبشيرية والمدارس الإنجليزية، وبدء الحملات الاستشراقية لفحص النصوص الإسلامية، نشأ اتجاه دفاعي جديد في الهند يقوم على استخدام علم الكلام كوسيلة لتأكيد أصول العقيدة، ومن ضمنها صفات النبوة. وكانت السيرة النبوية أحد أهم الميادين التي استهدفتها هذه الردود، خصوصا مع ما تبناه بعض المستشرقين من تشكيكات حول صدق النبي ﷺ أو تفسير الوحي تفسيرا نفسيا. وهنا بدأ علماء الهند بالاستعانة بعلم الكلام للرد، مع دمج ذلك ضمن كتاباتهم عن سيرة النبي ﷺ[3].

4 . العلاقة بين الصوفية والتوجهات الكلامية في السيرة

رغم ما قد ظن من تعارض بين التصوف وعلم الكلام، فإن كثيرا من العلماء الهنود كانوا يجمعون بين التزكية والسلوك الصوفي وبين التأصيل العقدي العقلاني، ومنهم شاه ولي الله الذي كان نقشبنديا ومتكلما. وقد انعكس هذا التداخل في كتابات السيرة، إذ نجد بعض المؤلفات تحمل بعدا روحيا عميقا دون أن تغفل التحليل الكلامي للعقائد، مثل العصمة والاصطفاء والنبوة[4].

ثانيا: الحاجة إلى كتابة السيرة بأسلوب كلامي

إن السيرة النبوية في بيئتها الأصلية كانت ترتكز على نقل الوقائع والأحداث، بهدف تثبيت الإيمان، وتعليم الأحكام، وتعزيز المحبة للرسول ﷺ. غير أن التحولات الفكرية التي شهدها القرن الثامن عشر في شبه القارة الهندية، خاصة بروز التحديات العقدية والفكرية، أوجدت حاجة ملحة لإعادة كتابة السيرة بأسلوب يعتمد على المنهج الكلامي، الذي يجمع بين النقل والعقل، بهدف الدفاع عن العقائد النبوية، ورد الشبهات، وتثبيت المفاهيم الصحيحة.

1 . الدفاع عن النبوة والعصمة ضد الطعون والشبهات

برزت في هذه المرحلة محاولات متزايدة للطعن في نبوة الرسول ﷺ، سواء من قبل بعض الفرق الباطنية، أو من خلال الهجمات الفكرية الاستشراقية والتبشيرية. هذه الهجمات لم تكن مجرد انتقادات سطحية، بل كانت تتناول الأسس العقدية كالعصمة، والصدق، والمعجزة، والنبوة، بل وحتى تفسير الوحي تفسيرا نفسيا أو خرافيا.

في هذا السياق، أصبح من الضروري أن يتم تناول السيرة النبوية بروح كلامية تحليلية، تثبت أن ما جاء به النبي ﷺ من الرسالة إنما هو وحي من الله، وأن سلوكه وأقواله وأفعاله تتسم بالعصمة والتأييد الإلهي. وقد تصدى لذلك علماء أمثال شاه ولي الله الدهلوي الذي مزج بين النقل والدليل العقلي في تحليل صفات النبوة، ورد على دعاوى الغلاة والمشككين[5].

2 . مواجهة الفرق والتيارات المنحرفة

من العوامل الأخرى التي أوجدت هذه الحاجة، ما شهدته الساحة الفكرية الهندية من انتشار للفرق الغالية، مثل بعض الفرق الشيعية والباطنية، التي كانت تقدم تفسيرات مخالفة لأحداث السيرة النبوية، وتتناول

[3] Robinson, Francis, Islam and Muslim History in South Asia (Oxford: Oxford University Press, 2000), 129.

[4] Muḥammad Abū Zahra, Tārīkh al-Madhāhib al-Islāmiyya (Al-Qāhira: Dār al-Fikr al-‘Arabī, 1401 AH/1981), 345.

[5] Shāh Walī Allāh ad-Dihlawī, Al-Inṣāf fī Bayān Sabab al-Ikhtilāf, edited by Muḥammad Zāhid al-Kawtharī (n.p.: n.p., 1416 AH/1996), 78.

شخصية النبي ﷺ إما بانتقاص أو بتأليه. وهو ما دفع العلماء إلى معالجة هذه القضايا من خلال بناء تصور عقدي دقيق حول النبوة، مستند إلى قواعد علم الكلام، يوازن بين الإجلال والتوحيد.

وقد كان للعلماء السنة، خاصة المنتسبين للمدارس الكلامية الأشعرية والماتريدية، دور في كشف انحرافات هذه التيارات، من خلال بيان ضوابط العصمة، ومجالها، وحدود صفات الأنبياء، بالاستناد إلى نصوص الكتاب والسنة مؤيدة بالبراهين العقلية[6].

3 . تثبيت المفاهيم العقدية في عقول العامة

لم يكن الخطاب الكلامي موجها فقط إلى النخب العلمية، بل كان جزءا من مشروع أكبر يهدف إلى تحصين العامة من الاضطراب العقدي. ومن هنا، سعى العلماء إلى توظيف القصص النبوي في السيرة لتعليم مبادئ العقيدة، وربط المفاهيم الكلامية بسيرة النبي ﷺ بشكل قصصي وتربوي.

فأحداث الهجرة، والمعجزات، والمواقف الأخلاقية، لم تعرض فقط بوصفها وقائع تاريخية، بل باعتبارها دلائل على صدق الرسالة، ومظاهر لعناية الله بنبيه، وبراهين عقلية وأخلاقية على العصمة والتأييد الإلهي. وقد برز هذا الأسلوب في كتابات العديد من العلماء مثل أحمد بن عرفان الشهيد وتلاميذه، الذين جعلوا السيرة منطلقا لترسيخ العقيدة في نفوس المتعلمين[7].

4 . الرد على التحديات الاستعمارية والحداثية

مع دخول الإنجليز إلى الهند، وتزايد المد التغريبي، ظهرت تحديات جديدة تتعلق بتفسير الظواهر الدينية تفسيرا ماديا أو نفسانيا، كقولهم بأن الوحي مجرد وعي باطني أو اضطراب عقلي. ولمواجهة هذا التحدي، لجأ العلماء إلى علم الكلام لإثبات معقولية النبوة وواقعيتها، وأنها ليست ظاهرة اجتماعية أو نفسية بل تجربة روحية موحى بها من الله.

لقد مثل علم الكلام في هذا السياق أداة منهجية للرد على الحداثيين والاستشراق، مع الحفاظ على مركزية النص الشرعي ومرجعيته، وبيان توافق العقيدة الإسلامية مع مبادئ العقل والمنطق السليم[8].

ثالثا: الخصائص الكلامية في معالجة السيرة النبوية

إن توظيف علم الكلام في كتابة السيرة النبوية في شبه القارة الهندية لم يكن مجرد إضافة تفسيرية أو أسلوب بلاغي، بل كان إعادة بناء لمضامين السيرة على ضوء منهج عقلاني يروم الدفاع عن النبوة، وإثبات صدقها، ورد الشبهات المثارة حولها. وقد تميزت هذه المعالجة بعدة خصائص منهجية وعقدية، جعلت من السيرة ميدانا حيا لعرض المفاهيم الكلامية الكبرى، بل وربطها بالواقع العقدي والتربوي والاجتماعي للمسلمين في تلك المرحلة.

1 . التحليل العقلي للمعجزات والأحداث الخارقة

أولى الاتجاه الكلامي اهتماما كبيرا بالمعجزات النبوية، نظرا لما لها من صلة مباشرة بإثبات النبوة، فبدلا من الاكتفاء بسردها، عمد علماء هذا الاتجاه إلى تحليلها عقليا، وتقديم تفسيرات منطقية لوقوعها، مع إثبات استحالتها عن غير الأنبياء. على سبيل المثال، ناقشوا مفهوم الإسراء والمعراج كحدث خارق للعادة، مؤكدين أنه

---

6 Aḥmad ibn ‘Irfān ash-Shahīd, Kashf al-Ghiṭā’ ‘an Wajh ad-Dīn al-Khāliṣ, manuscript preserved in Dār al-‘Ulūm Deoband, 56.

7 Naṣr Ḥāmid Abū Zayd, Mafhūm an-Naṣṣ (Ad-Dār al-Bayḍā’: Al-Markaz ath-Thaqāfī al-‘Arabī, 1410 AH/1990), 54.

8 ‘Abd al-Ḥalīm Maḥmūd, ‘Ilm al-Kalām: ‘Arḍ wa Naqd (Al-Qāhira: Dār al-Fikr al-‘Arabī, 1403 AH/1983), 132.

لا يتعارض مع العقل إذا ما أخذ في سياق القدرة الإلهية. كما تم استخدام حجج منطقية لتفنيد دعاوى أن هذه الأحداث مجرد رموز أو رؤى نفسية.

وقد سلك شاه ولي الله الدهلوي هذا المسلك، حيث رأى أن المعجزات ليست مجرد خوارق حسية بل دلائل عقلية على صدق النبي ﷺ، فكل معجزة تتناسب مع عقل المخاطبين من قومه، وتؤدي إلى التصديق العقلي عند التأمل والتفكر[9].

2 . البرهنة العقلية على صدق النبي ﷺ

من أهم ركائز الاتجاه الكلامي في السيرة، بناء أدلة عقلية تثبت صدق النبي ﷺ في دعوى النبوة. وقد اعتمدوا في ذلك على القواعد الكلامية المعروفة مثل: استحالة الكذب على من ظهرت على يديه المعجزات، وتواتر الأخبار، واستحالة تواطؤ الأمة على الكذب، وموافقة دعوته لمقتضى الحكمة الإلهية.

فلم تعد السيرة مجرد توثيق تاريخي لولادة النبي ﷺ وهجرته وغزواته، بل صارت مسارا لاستنتاج دلائل النبوة. وتم ربط الصفات الشخصية للنبي ﷺ مثل الصدق، والأمانة، والحنكة السياسية، بالمعايير العقلية التي تميز النبي الصادق من المدعي، وهو ما يتضح في مؤلفات الدهلوي والشهيد عرفان وأتباعهم[10].

3 . الجمع بين النصوص النقلية والتحليل العقلي

سعى علماء هذا الاتجاه إلى تحقيق التوازن بين النصوص الشرعية المروية وبين التحليل الكلامي العقلاني. فلم تكن العقلانية عندهم انفلاتا من النص، بل وسيلة لفهمه وتفسيره والدفاع عنه. وقد استدلوا بآيات قرآنية تثبت جواز استخدام العقل في إدراك دلائل النبوة، مثل قوله تعالى:

أَوَلَمْ يَتَفَكروا مَا بِصَاحِبِهِم من جِنةٍ ۚ إِنْ هوَ إِلا نَذِيرٌ مبِينٌ[11]

ومن هنا، فإن هذا المنهج يختلف عن المنهج القصصي العاطفي في كتابة السيرة، حيث لا تعرض الأحداث لأغراض وجدانية فقط، بل تحلل وفق منظومة عقلية متكاملة، وهذا ما يتجلى بوضوح في مصنفات علماء الهند في تلك الفترة، والتي جمعت بين سرد الوقائع وتفسيرها تفسيرا عقليا مؤصلا[12].

4 . نقد الروايات الضعيفة والمخالفة للأصول العقدية

اعتمد علماء هذا الاتجاه على منهج نقدي في التعامل مع المرويات المتعلقة بالسيرة، فرفضوا الروايات التي تتعارض مع أصول العقيدة أو مبادئ العقل. وهو ما يمثل تطبيقا عمليا للمنهج الكلامي في تصفية التراث السيري، وتقديم سيرة نبوية خالية من الغلو والخرافة.

فعلى سبيل المثال، تم رفض بعض الروايات التي تصف النبي ﷺ بصفات لا تليق بالعصمة، أو تنسب له أفعالا لا تليق بالمقام النبوي، بناء على قواعد علم الكلام في إثبات صفات الأنبياء وتنزيههم. وقد نبه شاه عبد العزيز الدهلوي إلى هذا الأمر في شرحه للسيرة، واعتبره أساسا في تصحيح فهم الأمة لمقام النبوة. [13]

رابعا: أعلام الاتجاه الكلامي في القرن الثامن عشر

---

[9] Shāh Walī Allāh ad-Dihlawī, Ḥujjat Allāh al-Bāligha, 1:78–85.

[10] Muḥammad Abū Zahra, Muḥāḍarāt fī ‘Ilm al-Kalām (Al-Qāhira: Dār al-Fikr al-‘Arabī, 1406 AH/1986), 210–215..

[11] Al-A‘rāf, 7:184.

[12] ‘Abd al-Karīm ‘Uthmān, Al-Imām al-Ash‘arī wa Ārā’uh al-Kalāmiyya (Al-Qāhira: Dār ash-Shurūq, 1413 AH/1993), 192.

[13] Shāh ‘Abd al-‘Azīz ad-Dihlawī, Tuḥfat Ithnā ‘Ashariyya, edited by ‘Abd ar-Raḥmān al-Bustānī (Bayrūt: Dār Iḥyā’ at-Turāth al-‘Arabī), 66. .

برز في شبه القارة الهندية خلال القرن الثامن عشر عدد من العلماء الذين أسسوا لما يمكن تسميته بالاتجاه الكلامي في كتابة السيرة النبوية، من خلال توظيف أدوات علم الكلام للدفاع عن النبي ﷺ وتفسير الأحداث السيرية تفسيرا عقديا وعقليا. هؤلاء العلماء لم يكتبوا سيرا تقليدية فقط، بل أدخلوا على خطاب السيرة مضامين فلسفية وكلامية عمقت البعد العقائدي، وشكلوا بذلك مدرسة فكرية متكاملة ساهمت في ترسيخ العقيدة النبوية في بيئة متعددة التحديات.

1 . شاه ولي الله الدهلوي (1703–1762م)

عد شاه ولي الله الدهلوي أبرز شخصية علمية في القرن الثامن عشر بالهند، وأحد المؤسسين الحقيقيين للاتجاه الكلامي في تحليل السيرة. امتاز بمزج الفقه بالتصوف، والنقل بالعقل، وكان يؤمن بأن الدفاع عن النبوة لا يكون إلا بالجمع بين النصوص الشرعية والبراهين العقلية.

في كتابه حجة الله البالغة، يوضح الدهلوي المبادئ التي تحكم السنن الإلهية في إرسال الرسل، ويقدم شرحا كلاميا لمفهوم النبوة، وأهمية العصمة، والغاية من المعجزات. كما طرح فكرة «المصلحة العقدية» التي تجعل من دراسة سيرة النبي ﷺ ضرورة تربوية وفكرية، وفسر بعض أحداث السيرة تفسيرا عقلانيا يخدم إثبات صدق النبي ﷺ، بعيدا عن السرد التاريخي المجرد كما قدم في كتبه الأخرى مثل الإنصاف وتفهيمات إلهامية نماذج تحليلية لمواقف نبوية حساسة، موضحا كيف أنها تتوافق مع صفات النبي المختار، وأن ما شكل ظاهريا زال بتأمل سياقاتها ومعانيها العقلية[14].

2 . أحمد بن عرفان الشهيد (1781–1831م)

من أبرز تلامذة مدرسة شاه ولي الله، وقد تأثر بمناهجها الكلامية مع تميزه بالجانب الجهادي والإصلاحي. كتب في العقائد والسيرة بأسلوب يجمع بين الروح الصوفية والمنهج العقلي، وكان يركز في تحليله للسيرة على إثبات مفاهيم مثل العصمة والتأييد الإلهي، مستعملا الحجج العقلية المبنية على التجربة التاريخية والسنن الربانية.

في كتابه كشف الغطاء عن وجه الدين الخالص، خصص مقاطع مطولة لشرح صفات النبي ﷺ وعصمته، ورد الشبهات المنتشرة حول بعض الأحداث، وناقش الروايات المشكوك فيها، مستندا إلى قواعد علم الكلام[15].

3 . شاه عبد العزيز الدهلوي (1746–1824م)

ابن شاه ولي الله ووريث مدرسته، وكان يتمتع بثقافة واسعة في علم الكلام، وكان له دور بارز في التصدي للغلو الشيعي والتفسير الباطني للسيرة. تناول في كتبه كتحفة إثنا عشرية الرد على الروايات الموضوعة أو المؤولة تأويلا منحرفا، وبين ضرورة فهم السيرة في ضوء العقيدة السليمة.

اهتم شاه عبد العزيز بتوضيح الفرق بين المعجزة والكرامة، وأثر ذلك في فهم سلوك النبي ﷺ، كما ركز على إظهار الحكمة من بعض التصرفات النبوية التي استشكلت، كالزواج من عدة نساء، أو بعض المواقف الحربية، مبينا البعد الرسالي في ذلك لا الأهواء الشخصية، وهو تأويل كلامي دقيق يهدف إلى تنزيه النبي ﷺ ورفع مقامه[16].

---

[14] Shāh Walī Allāh ad-Dihlawī, Ḥujjat Allāh al-Bāligha, 1:92–104.

[15] Aḥmad ibn ‘Irfān ash-Shahīd, Kashf al-Ghiṭā’ ‘an Wajh ad-Dīn al-Khāliṣ, manuscript, Dār al-‘Ulūm Deoband. P 87

[16] Shāh ‘Abd al-‘Azīz ad-Dihlawī, Tuḥfat Ithnā ‘Ashariyya, 72–90

4 . علماء المدرسة الديوبندية الأوائل

رغم نشوء المدرسة الديوبندية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، إلا أن جذورها الفكرية تعود إلى القرن الثامن عشر، وقد تأثرت بشدة بتراث شاه ولي الله والمدرسة الكلامية. ومن أبرز أعلامها في ذلك الوقت: المولوي قاسم نانوتوي، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي.

وقد تبنت هذه المدرسة منهجا يعتمد على تعليم السيرة بأسلوب يمزج بين التحليل الفقهي والكلامي، وتأكيد صفات النبوة وعقيدتها في مناهجها التعليمية، واستخدمت السيرة أداة لتربية الأجيال على العقيدة السليمة، والرد على الشبهات العقلانية التي يثيرها خصوم الإسلام[17].

خامسا: نماذج من النصوص الكلامية في السيرة

تجلى الاتجاه الكلامي في كتابة السيرة النبوية من خلال عدد من النماذج النصية التي برز فيها التحليل العقدي، والبرهنة العقلية، والتفسير التأويلي للأحداث، بما يتجاوز السرد التاريخي إلى قراءة فكرية تعنى بتثبيت العقيدة والدفاع عن النبوة. وقد قدم علماء الهند في القرن الثامن عشر نماذج مميزة تعكس هذا التوجه، وتظهر كيف وظفوا أدوات علم الكلام في تناولهم للسيرة النبوية[18].

1 . نموذج: "أسباب تعدد الزوجات" عند النبي ﷺ

في كثير من كتب السيرة، طرح موضوع تعدد زوجات النبي ﷺ في سياق زمني وتاريخي. أما الاتجاه الكلامي فقد تناول هذه المسألة من زاوية الدفاع العقدي، حيث يرى شاه ولي الله الدهلوي أن هذا التعدد لم يكن استجابة لرغبات بشرية، بل كان جزءا من الحكمة الإلهية في بناء المجتمع المسلم، وتحقيق أغراض تشريعية وسياسية وتربوية.

وقد اعتبر أن التشكيك في دوافع هذا التعدد هو طعن غير مباشر في مقام النبوة، وأن الرد عليه يجب أن يكون بمزيج من النص الشرعي والتأويل الكلامي القائم على فهم المقاصد العليا.

يقول الدهلوي في حجة الله البالغة:

> "كان في تزويجه ﷺ حكم كثيرة، منها: بيان أحكام النكاح للناس، وتكريم بعض القبائل، وربط المصاهرة بالدعوة، وإظهار الرحمة بالأرامل، ولم يكن في ذلك ما يخدش مقام العصمة[19]".

3 . نموذج: "المعجزات النبوية بين العقل والنقل"

تناول علماء الكلام في الهند مسألة المعجزات النبوية بوصفها برهانا مركزيا على صدق النبي ﷺ. وقد استخدموا الأدلة العقلية على إمكان وقوع المعجزة، كإثبات قدرة الله على خرق العادة، ثم بينوا أن وقوعها على يد مدعي النبوة الصادق دليل على تأييده من قبل الله.

وقد فصل شاه عبد العزيز الدهلوي القول في معجزة انشقاق القمر، حيث ناقش من يشكك فيها من منطلقات عقلانية، مؤكدا أنها وقعت بتواتر معنوي، وأن الاعتراضات القائمة على الاستحالة العقلية مردودة، لأن خرق العادة لا يعني مخالفة العقل، بل مخالفة العادة فقط.

---

[17] Robinson, Francis. Islam and Muslim History in South Asia Oxford University Press, 2000, p. 131–140.

[18] Muhammad Qasim Zaman, The Ulama in Contemporary Islam: Custodians of Change, Princeton University Press2002 , pp. 25–29.

[19] Shāh Walī Allāh ad-Dihlawī, Ḥujjat Allāh al-Bāligha, 2:112.

يقول: "المعجزة لا تقاس بعقول الناس، بل تقاس بقدرة الله، والعقل السليم لا ينكر إمكانها إذا ثبت وقوعها بنقل صحيح[20]".

3 . نموذج: "الدفاع عن بشرية النبي ﷺ ورفع مقامه في آن واحد"

تناول الاتجاه الكلامي مسألة التوازن بين بشرية النبي ﷺ وبين مقامه النبوي، وهي مسألة شائكة ظهرت بقوة في الرد على الغلاة أو الذين أنزلوه منزلة فوق البشر. وقد ناقش أحمد بن عرفان الشهيد في كتابه كشف الغطاء هذه الإشكالية، مبينا أن الرسول بشر لكنه مصطفى، وأن مقامه لا يتعارض مع بشريته بل يكملها.

وقد وظف في ذلك المنهج العقلي القائم على التدرج في المقدمات العقلية لإثبات أن النبوة لا تعني الألوهية، لكنها أيضا ليست مقاما عاديا، بل هو مقام الاصطفاء والتأييد.

يقول: "من زعم أن النبي بشر كسائر الناس فقد غفل عن معاني العصمة، ومن جعله فوق مقام البشر فقد ضل في أصل الرسالة، والحق ما بينهما".[21]

4 . نموذج: "تأويل الغيبيات والأحلام في السيرة"

تميز الاتجاه الكلامي بتأويل بعض الغيبيات الواردة في السيرة النبوية بطريقة تحفظ للنصوص قداستها دون السقوط في التشبيه أو التجسيم أو التهويل. فمثلا عند الحديث عن رؤى النبي ﷺ أو عن أمور الجن والملائكة، نجد محاولة عقلانية لفهم هذه الظواهر.

يقول المولوي قاسم نانوتوي – مؤسس المدرسة الديوبندية – في بعض دروسه:

"رؤيا النبي ﷺ وحي، وهي تختلف عن رؤى الناس، ولذا لا يجوز تأويلها إلا بما يدل عليه النص والعقل معا[22]".

سادسا: أثر الاتجاه الكلامي على الفكر الإسلامي في الهند

لم يكن الاتجاه الكلامي في كتابة السيرة النبوية ظاهرة معزولة في محيطها العلمي، بل كان جزءا من مشروع فكري متكامل ترك أثرا بالغا على بنية الفكر الإسلامي في شبه القارة الهندية، لا سيما في مجالات التعليم الديني، وبناء العقيدة، والتصدي للتيارات الوافدة، وتنشئة أجيال من العلماء والمصلحين. وفي هذا القسم، نعرض لأبرز تجليات هذا التأثير في ثلاثة مستويات رئيسة: الفكر العقدي، المناهج التعليمية، والمواقف من التحديات الفكرية والاستعمارية.

1 . ترسيخ العقيدة السنية الكلامية في المجتمع المسلم

ساهم هذا الاتجاه في تثبيت المفاهيم العقدية وفق أصول المذهب السني الكلامي، لا سيما الأشعري والماتريدي، في أوساط واسعة من المسلمين في الهند. فالسيرة لم تستخدم فقط للوعظ والسرد العاطفي، بل أصبحت وسيلة لتعزيز الإيمان بالعقيدة النبوية، من خلال إثبات العصمة، والرد على الطعون، وتحقيق الاتزان بين تعظيم الرسول ﷺ وحماية التوحيد من الغلو.

وقد أدى هذا إلى تقوية الموقف السني في وجه الفرق الباطنية والشيعية التي حاولت تأويل السيرة لصالح تصوراتها العقدية، فأصبح علم الكلام وسيلة لتصفية الخطاب السيري من الانحرافات، وتقديمه كمرآة لعقيدة أهل السنة والجماعة[23].

---

[20] Shāh ʻAbd al-ʻAzīz ad-Dihlawī, Tuḥfat Ithnā ʻAshariyya, 85.

[21] Aḥmad ibn ʻIrfān ash-Shahīd, Kashf al-Ghiṭāʼ ʻan Wajh ad-Dīn al-Khāliṣ, manuscript.

[22] Fawẓ fī Durūs Qāsim Nānotwī, in Malfūẓāt al-ʻUlamāʼ al-Kibār (Deoband: Dār al-Maʻārif), 56..

[23] Shiblī an-Nuʻmānī, Sīrat an-Nabī, Part 1 (Al-Hind: Dār al-Maʻārif), 45–50.

2 . دمج علم الكلام في مناهج التعليم التقليدي

انعكس هذا التوجه بقوة على المناهج التعليمية في المدارس الإسلامية الكبرى مثل دار العلوم ديوبند والمدرسة الفرهية والمدرسة الشاهية، حيث تم دمج مواد علم الكلام ضمن المنهج الدراسي إلى جانب السيرة النبوية، مما جعل الطالب المسلم يتلقى السيرة في ضوء التحليل الكلامي والنقد العقلي.

ومن خلال كتب مثل شرح العقائد النسفية والمواقف في علم الكلام، تم تدريب الطلاب على المهارات المنطقية والعقلية، ثم تطبيقها على مواقف السيرة النبوية، فغدت هذه المؤسسات مراكز لإنتاج خطاب ديني متين يجمع بين العقل والنقل[24].

3 . تعزيز الوعي العقدي في مواجهة الاستعمار والتبشير

مع تصاعد الهجمة الاستعمارية والتبشيرية، كان الاتجاه الكلامي أحد أهم الأسلحة الفكرية في رد الشبهات حول شخصية النبي ﷺ. إذ لم تكن الردود العاطفية كافية في مواجهة الأساليب العقلانية الحديثة التي استخدمها المستشرقون والمنصرون، بل كانت هناك حاجة إلى تحليل عقلاني يثبت النبوة بالدليل والبرهان.

وقد وظف علماء الهند هذا الاتجاه في إعداد جيل من العلماء والمصلحين الذين حملوا على عاتقهم مسؤولية الدفاع عن الإسلام وسيرة النبي ﷺ، مثل العلامة شبلي النعماني، والشيخ ثناء الله الأمرتسري، وغيرهم من رجالات النهضة الإسلامية في الهند[25].

4 . التأسيس لحركة فكرية إصلاحية ذات جذور كلامية

تأثرت الحركات الإسلامية الحديثة في الهند، مثل حركة أهل السنة والجماعة، والمدرسة الديوبندية، والجمعية العلية لأهل الحديث، بهذا الاتجاه، وإن اختلفت في بعض الوسائل، لكنها التقت في توظيف العقل في فهم العقيدة والسيرة، وفي التأكيد على مكانة الرسول ﷺ دون الوقوع في الغلو.

بل إن المشروع الفكري لشاه ولي الله الدهلوي الذي جمع بين الفقه، والتصوف، والكلام، والسيرة، شكل الإطار النظري للعديد من الحركات الإصلاحية في الهند، وجعل من السيرة النبوية محورا لبناء الأمة عقديا وروحيا وسياسيا[26].

الخاتمة

لقد شكل الاتجاه الكلامي في كتابة السيرة النبوية في شبه القارة الهندية في القرن الثامن عشر استجابة فكرية راشدة لسلسلة من التحديات الداخلية والخارجية التي واجهها المسلمون في تلك الحقبة. ولم يكن هذا الاتجاه مجرد اجتهاد فردي أو نزعة بيانية، بل كان مشروعا علميا واعيا يهدف إلى حماية مقام النبوة، وترسيخ العقيدة، والدفاع عن الإسلام في وجه الطعنات الفكرية والمذهبية والاستشراقية.

وقد ظهر هذا الاتجاه في كتابات نخبة من العلماء الكبار، أمثال شاه ولي الله الدهلوي، وأحمد بن عرفان الشهيد، وشاه عبد العزيز الدهلوي، الذين أعادوا تفسير السيرة بمنهج عقلي متكامل يجمع بين النصوص الشرعية والأدلة الكلامية، ويرد على الشبهات بمنطق رصين. كما انعكس هذا التوجه في المناهج التعليمية للمدارس الإسلامية، وأسهم في إعداد أجيال من العلماء والمصلحين الذين حافظوا على نقاء العقيدة وأصالة السيرة.

[24] ʻAbd al-Ḥalīm Maḥmūd, ʻIlm al-Kalām: ʻArḍ wa Naqd, 198..
[25] Abd ar-Ra’ūf al-Manāwī, Fayḍ al-Qadīr fī Sharḥ al-Jāmiʻ aṣ-Ṣaghīr (Bayrūt: Dār al-Fikr), 3:211..
[26] Francis Robinson, The Ulama of Farangi Mahall and Islamic Culture in South Asia, Permanent Black, 2001, p. 105–110.

إن هذا الاتجاه برز مرونة الخطاب الإسلامي وقدرته على التفاعل مع المستجدات الفكرية، ويوضح أن الدفاع عن السيرة لا يقتصر على الحفظ والسرد، بل يتطلب أدوات تحليلية وعقلية قادرة على تثبيت الإيمان وتفكيك الشبهات. وهو ما يجعل من التجربة الهندية في هذا المجال نموذجا جديرا بالدراسة والتأمل.

أهم النتائج:

1. نشأة الاتجاه الكلامي في ظل بيئة فكرية ودينية مضطربة، حيث شهد القرن الثامن عشر انتشار البدع والخرافات، وظهور تحديات عقدية داخلية وخارجية، مما استدعى تأسيس خطاب سيري يعتمد على أدوات علم الكلام في الدفاع عن النبوة.
2. تبلور مفهوم السيرة النبوية بوصفها ميدانًا للتأصيل العقدي، وليس مجرد تسجيل للأحداث، فركز علماء القرن الثامن عشر على إبراز صفات النبي ﷺ مثل العصمة، والمعجزات، وعلو المنزلة، من خلال التحليل العقلي والتأصيل النقلي.
3. اعتمد هذا الاتجاه على الجمع بين النقل والعقل، فكان التأليف في السيرة يراعي الرواية الموثوقة، لكنه لا يغفل التفسير الكلامي والرد المنطقي على الشبهات، لا سيما تلك التي ظهرت من الفرق المخالفة أو من التأثيرات الخارجية.
4. ظهر في هذا القرن أعلام بارزون تبنّوا هذا الاتجاه، مثل شاه ولي الله الدهلوي، الذي قدّم قراءة عقلية للسيرة من خلال الدفاع عن العصمة والنبوة، وإثبات مقام النبي ﷺ بطرق كلامية دقيقة.
5. مهّدت جهود القرن الثامن عشر الطريق لظهور تيارات مؤسسية في القرن التاسع عشر، مثل المدرسة الديوبندية والبريلوية، التي ورثت هذا النهج الكلامي وطوّرته في إطار أكثر تنظيمًا وتأثيرًا.

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆

Bibliography / کتابیات

* ‘Abd al-Ḥalīm Maḥmūd. *‘Ilm al-Kalām: ‘Arḍ wa Naqd*. Al-Qāhira: Dār al-Fikr al-‘Arabī, 1403 AH/1983.
* ‘Abd al-Karīm ‘Uthmān. *Al-Imām al-Ash‘arī wa Ārā’uh al-Kalāmiyya*. Al-Qāhira: Dār ash-Shurūq, 1413 AH/1993.
* Abd ar-Ra’ūf al-Manāwī. *Fayḍ al-Qadīr fī Sharḥ al-Jāmi‘ aṣ-Ṣaghīr*. Bayrūt: Dār al-Fikr, n.d.
* Muḥammad Abū Zahra. *Muḥāḍarāt fī ‘Ilm al-Kalām*. Al-Qāhira: Dār al-Fikr al-‘Arabī, 1406 AH/1986.
* Muḥammad Abū Zahra. *Tārīkh al-Madhāhib al-Islāmiyya*. Al-Qāhira: Dār al-Fikr al-‘Arabī, 1401 AH/1981.
* Muḥammad Qāsim Zamān. *Al-‘Ulamā’ fī al-Islām al-Mu‘āṣir: Ḥurrās at-Taghyīr*. Translated by ‘Abd al-‘Azīz Kāmil. Al-Qāhira: Dār ash-Shurūq, 1430 AH/2009.
* Naṣr Ḥāmid Abū Zayd. *Mafhūm an-Naṣṣ*. Ad-Dār al-Bayḍā’: Al-Markaz ath-Thaqāfī al-‘Arabī, 1410 AH/1990.
* Robinson, Francis. *Islam and Muslim History in South Asia*. Oxford: Oxford University Press, 2000.
* Robinson, Francis. *The Ulama of Farangi Mahall and Islamic Culture in South Asia*. Delhi: Permanent Black, 2001.
* Shāh ‘Abd al-‘Azīz ad-Dihlawī. *Tuḥfat Ithnā ‘Ashariyya*. Edited by ‘Abd ar-Raḥmān al-Bustānī. Bayrūt: Dār Iḥyā’ at-Turāth al-‘Arabī, n.d.

* Shāh Walī Allāh ad-Dihlawī. *Al-Inṣāf fī Bayān Sabab al-Ikhtilāf*. Edited by Muḥammad Zāhid al-Kawtharī. n.p.: n.p., 1416 AH/1996.
* Shāh Walī Allāh ad-Dihlawī. *Ḥujjat Allāh al-Bāligha*. Edited by as-Sayyid Sābiq. Bayrūt: Dār al-Jīl, 1410 AH/1990.
* Shiblī an-Nu‘mānī. *Sīrat an-Nabī*. Part 1. Al-Hind: Dār al-Ma‘ārif, n.d.
* Zaman, Muhammad Qasim. *The Ulama in Contemporary Islam: Custodians of Change*. Princeton: Princeton University Press, 2002.